الأصول السكانية لمجتمع البحرين الحديث (2)
الهوية العربية للبحرين في الفترة (312ق.م-226م)[130]

درجت الدراسات التقليدية على تقسيم تاريخ البحرين بعد اضمحلال حضارة دلمون إلى ثلاث مراحل رئيسة:

1- مرحلة هيمنة الدولة السلوقية (312 ق.م-64م) بعد وفاة الإسكندر الأكبر.[131]

2- مرحلة هيمنة الدولة الفارسية البارثية (141ق.م-226م).[132]

3- مرحلة الهيمنة الساسانية (226-651م) على البحرين حتى ظهور الإسلام.

ويتضمن هذا النمط من التحقيب التاريخي خللاً كبيراً في التعامل مع المؤثرات التاريخية المحلية، كما يفتقر إلى الدقة والموضوعية من عدة محاور؛ إذ أنه يتخذ من تطور دول مجاورة أساساً لتحقيب تاريخ البحرين، ويقع المؤرخون جراء ذلك التقسيم في إشكاليات عدة منها: إهمال دور العناصر المحلية في الدورة التاريخية، بالإضافة إلى الوقوع في التعميم المخل الذي يؤدي إلى تضخيم دور القوى الأجنبية في مقابل إهمال الحديث عن التواجد العربي الكبير في المنطقة.

والحقيقة هي أن الدراسة المستفيضة لمرحلة الهيمنة الهيلينية تؤكد وجود نهضة عربية في البحرين؛ فقد شهدت تلك الفترة تشكل أهم التحالفات القبلية في تاريخ شبه الجزيرة العربية كحلف تنوخ وحلف لهازم. كما ظهرت القبائل العربية العدنانية على مسرح الأحداث السياسية، وهي القبائل التي لا تزال تمثل الامتداد الطبيعي الأقدم لمجتمع البحرين المعاصر.

---

[130] نشرت هذه الدراسة في: **صحيفة الوطن**، السنة الخامسة، العدد 1578، 6 أبريل 2010. ص 17.

[131] الدولة السلوقية (312 ق.م- 63 ق.م) هي سلالة هيلينية ترجع تسميتها إلى مؤسس الأسرة الحاكمة للدولة السلوقية: سلوقس الأول نيكاتور، أحد قادة جيش الإسكندر الأكبر، والتي حكمت خلال القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد منطقة غرب آسيا، وامتدت ما بين سوريا غرباً وحتى الهند شرقاً، وكان للسلوقيين دور في تفاعل الحضارتين الإغريقية والشرقية.

[132] تزامنت الدولة البارثية، مع ظهور الدولة المسينية التي ظهرت إثر انهيار الدولة السلوقية في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، وكان عاهلها الأول هو: هيسبوسنيس (حوالي عام 140 ق.م)، وقد بسطت الدولة المسينية نفوذها على الخليج العربي، وتوجد آثار في البحرين تدل على امتداد نفوذ المسينيين إليها.

ففي مطلع القرن الرابع قبل الميلاد شهد إقليم البحرين هجرات واسعة من قبائل وسط شبه الجزيرة العربية، ومثلت حركة الاستيطان هذه بواكير تشكل مجتمع البحرين في مرحلة نفوذ الدولتين: السلوقية والبارثية على حد سواء.

وبناء على ذلك فإنه يمكن تقديم صورة بديلة لتحقيب تاريخ البحرين، وذلك من خلال إبراز العناصر المحلية المتمثلة في ظهور كيانين عربيين هيمنا على إقليم البحرين وأرخبيل جزره خلال الفترة الممتدة ما بين ظهور الدولة السلوقية عام 312 ق.م، وحتى انهيار الدولة البارثية عام 226م، وهما: مملكة "الجرهاء" ودولة "تنوخ"، ويمكن تفصيل التركيبة المجتمعية للبحرين في تلك الفترة فيما يأتي:

أ-مملكة الجرهاء (النصف الثاني من القرن 3 ق.م- النصف الأول من القرن الأول الميلادي):

ازدهرت مدينة الجرهاء في الفترة الممتدة ما بين النصف الثاني من القرن الثالث قبل الميلاد إلى النصف الأول من القرن الأول الميلادي، وذاع صيتها التجاري في شمال وشرقي شبه الجزيرة العربية نتيجة لموقعها على الطرق التجارية القادمة والمتجهة من الخليج العربي، واستخدم الجرهائيون في نقل بضائعهم الطريق البري القادم من جنوب شبه الجزيرة العربية عبر صحراء النفوذ العظيمة، واستخدموا النقل البحري عبر الخليج العربي إلى مصب الفرات ومن هناك إلى سلوقيا وأنطاكيا.

ونتيجة لما شهدته الجرهاء من ازدهار تجاري، فقد تعرضت المصادر اليونانية والرومانية للحديث عنها مؤكدة هويتها العربية؛ إذ نقل سترابو عن المؤرخ اليوناني أرتيمدروس (276-190 ق.م) بأن سكان الجرهاء هم من العرب الكلدانيين المنفيين من بابل، ووصفهم بأنهم من أغنى العرب.

وأكد المؤرخ بليني (22-79م) هذه المعلومات في معرض حديثه عن ثراء المدينة ونشاط سكانها التجاري مؤكداً بأن الجرهائيين كسبوا من تجارتهم غنى فاحشاً وثروة طائلة عمادها الذهب والفضة والأحجار الكريمة، فاستخدموا آنية الذهب والفضة وزينوا بيوتهم وأبواب غرفهم سقوف منازلهم بالعاج والفضة وطعموها بالذهب والأحجار النفيسة.

كما نقل ديودوروس الصقلي عن أجاثارخيديس قوله: "إن الجرهائيين والمعينيين كانوا يحملون اللبان والبخور والسلع العطرية الأخرى من أعالي شبه الجزيرة العربية إلى هذه البلاد (البتراء وفلسطين)".[133]

وفي حقبة نفوذ الجرهائيين في شرقي شبه الجزيرة العربية تكوّن مجتمع البحرين من عنصرين أساسيين هما:

1- الأنباط: والأرجح بأنهم من أصول عربية نزحت من الحجاز، لأن أسماء بعض ملوكهم كانت عربية كالحارث وعبادة ومالك. وتحدثت المصادر عن قيام قبيلة قضاعة بإجلاء الأنباط عن البحرين لدى قدومهم إليها، إذ كان النبط يسكنون إقليم البحرين قبل أن تأتي قبائل العرب الأخرى إليها، ويقال بأنهم سموا بالنبط لاستنباطهم الماء، ويرى البعض أنهم كانوا امتداداً للعرب العماليق.[134]

2- العماليق: هو اسم يطلقه العرب على قبائل الكنعانيين والأموريين الذين كانوا يسكنون جنوب الجزيرة العربية وهم من أقدم الأمم التي سكنت الجزيرة العربية من ذرية عمليق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح. وقد عاصر العماليق بعض الأنبياء، وتفرقوا في البلاد؛ فكانت لهم تجمعات استيطانية في كل من: نجد والبحرين وعُمان واليمن وتهامة وبلاد الشام. وانتشروا كذلك بمصر حيث ينتسب إليهم حكام مصر من الهكسوس. وفي ذلك قال الطبري: "والعماليق قوم عرب؛ لسانهم الذي جبلوا عليه لسان عربي، وعمليق هو أول من تكلم العربية، فعاد وثمود والعماليق وأُميم وجاسم وجديس وطسم هم العرب".[135] وأكد ابن الأثير ما أورده الطبري قائلاً: "عميلق وهو أبو العماليق، ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون، والفراعنة بمصر، وكان أهل البحرين وعمان منهم ويسمون جاسم، وكان منهم بنو أميم بن لاوذ أهل وبار بأرض الرمل وهي بين اليمامة والشحر".[136]

---

[133] حمد محمد بن صراي (2000) **منطقة الخليج العربي من القرن الثالث ق.م إلى القرنين الأول والثاني الميلاديين**، المجمع الثقافي، ص.ص 62-68.

[134] علي بن الحسين المسعودي (ت 346هـ) **مروج الذهب**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة 1964. 1/200.

[135] محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ) **تاريخ الأمم والملوك**، دار الفكر، بيروت، 1979. 2/50

[136] علي بن محمد الشيباني بن الأثير (ت 630هـ) **الكامل في التاريخ**، تحقيق عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1417هـ. 1/340.

وفي نهاية القرن الأول للميلاد بدأ انحطاط الجرهاء، وذلك على إثر هيمنة الدولة البارثية على الخليج العربي وبلاد الرافدين وسيطرتها على طرق التجارة.

ب- دولة تنوخ (86-268م):[137]

عندما أخذ نفوذ الجرهاء في الاضمحلال ظهرت في شرقي شبه الجزيرة العربية بوادر تحالف قبلي جديد سمي بحلف تنوخ، والراجح بأن تنوخ هم الذين قضوا على الجرهائيين، ويذكر ابن الأثير بأن قضاعة تحالفت مع بطون من نمار بن لخم، ودعوا إليهم بطناً من الأزد فتحالفوا جميعا على التنوخ (وهو: المقام؛ اشتقاقاً من إناخة الإبل) وتعاقدوا على التآزر والتعاون فصاروا يداً على الناس، وضمهم حلف تنوخ الذي كان يتكون من عشر قبائل رئيسة من العرب القحطانية والعدنانية بزعامة مالك بن فهم القضاعي، وذلك عام 86م. ومثل ذلك الحلف بداية قيام التحالفات القبلية في الجزيرة العربية كأساس لتشكيل الكيانات السياسية في مرحلة ما قبل الإسلام؛ وقد تحدث ابن الأثير عن عشائر حلف تنوخ بقوله: "تحالفوا على التنوخ وهو المقام، وتعاقدوا على التناصر والتساعد، فصاروا يداً واحدة، وضمهم اسم تنوخ".[138]

وفي البحرين اكتسب التنوخيون حياة الحضر، واندمجوا في مدنها، كما أعطوا البحرين لهجتهم العربية التي تطورت إلى الفصحى فيما بعد. وبناء على ما ورد أعلاه فإن مجتمع البحرين قد تشكل في تلك الفترة من عنصرين أساسيين هما:

1- قضاعة بن معد بن عدنان: وهم من أوائل القبائل التي استقرت في البحرين بعد إجلاء النبط عنها في القرن الثالث قبل الميلاد.[139]

2- الأزد: وهي قبيلة من عرب الجنوب اكتسبت اسمها من واد بالقرب من مأرب، ولدى انهيار سد مأرب في القرن السادس قبل الميلاد، هاجر الأزد من عمان، واستوطنوا في تهامة، ولكن المنازعات التي دارت بينهم وبين ربيعة ومضر اضطرتهم للهجرة باتجاه السواحل الشرقية للجزيرة العربية، حيث نزلوا في عمان، ومن هناك

---

[137] كان ملوك دولة تنوخ من الأزد، وهم: مالك بن فهم (87-157)، عمرو بن فهم (157-193)، جذيمة بن مالك "الأبرش" (193-268).

[138] ابن الأثير (1996) **الكامل في التاريخ**، مصدر سابق. 1/340.

[139] المسعودي (1964) **مروج الذهب**، مصدر سابق. 2/26.

ارتحلت بطون منهم إلى البحرين، وسكن بعضهم في جزيرة أوال ولعبوا دوراً سياسياً فيها. ثم اصطدموا بعد ذلك مع عبد القيس واضطروا إلى الجلاء عن البحرين.[140]
والحقيقة هي أنه من غير الممكن تتبع أصول مجتمع البحرين المعاصر إلى أي من القبائل العربية التي هيمنت في تلك الفترة؛ إذ أن أغلبهم من العرب البائدة من جهة، ومن جهة أخرى فإن الكثير منهم قد تم إجلاؤهم عن البحرين على يد القبائل العدنانية في مرحلة لاحقة سيتم تفصيلها فيما بعد.

[140] فاروق عمر (1983) **الخليج العربي في العصور الإسلامية**، دار القلم، دبي. ص.ص 24-26.